ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

العِلاقاتُ التجارية بين الصين وساحل شَرقِ إفريقية في المصادرِ الوَسيطة
مُروج الذهب للمسعودي أُنموذجًا

إسماعيل حامد إسماعيل علي
باحث دكتوراه تاريخ أفريقيا في العصر الوسيط
كلية الدراسات الإفريقية العليا
جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

تُقدم هذه الدراسة رصدًا لجوانب من العلاقات التجارية، وبعض مظاهرها بين كل من ساحل شرق أفريقية وبلاد الصين إبان حقبة "العصر الوسيط"، وتحديدًا في الفترة التي تمتد من القرن (٤-٨هـ/١٠-١٤م) من خلال ما ورد في بعض المصادر العربية والصينية، مع التركيز في ذات الوقت على رواية الرحالة العربي أبـي الحسن المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، في كتابه ذائع الصيت الموسوم بـ "مُروج الذهب". ولا ريب أن هذا المصَنَفُ يُعَدّ من أهم المصادر العربية من الناحية التاريخية، أم الجغرافية. ويكشفُ لنا أبو الحسن المسعودي في رواياته التي أوردها في مُصنفه قِدم العلاقـات التُجارية بين ساحل شرق أفريقية وبلاد الصين، وهو ما شاهد بعض مظاهر هذه العلاقات بأُم عينيه خلال رحلاته العديدة التي قام بها مرافقًا لكل من التُجار العرب والسيرافيين عبر سواحل "بحر الهند" (المحيط الهندي). ومن المعروف أن التُجـار العرب، والسيرافيين، وكذلك الهُنود لعبوا دورًا مُهمًا في نمو وتطور العلاقـات التُجارية بين كل من موانئ بلاد الصين، وكذا مراكزهـا التجارية من ناحية، وبين نظيراتهـا في ساحل شرق أفريقية من ناحية أخرى، وذلك منذ بواكير القرون الهجرية. وقد اتبع الباحثُ في تناوله لهذه الدراسة المنهج التاريخي الذي يعتمدُ على تحليل ونقد المصادر التاريخية، وكذا تعليل الحدث التاريخي ذاته، والمقارنة بين الروايات الواردة في المصادر التاريخية المختلفة، وليس أخذ الأخبار والروايات كما هي في المصدر على علاتهـا كما أوردها المؤرخون دون تحليل أو تمحيص، إذ إن كل مؤرخ يعبر عن الحقبة التي عاش فيهـا.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ١٧ يونيو ٢٠١٨
تاريخ قبـول النشـر: ٢٠ أغسطس ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:
المسعودي، العُمانيون، السيرافيون، بلاد الصين، شرق أفريقية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0053269

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
إسماعيل حامد إسماعيل علي. "العِلاقات التجارية بين الصين وساحل شرق إفريقية في المصادر الوسيطة: مُروج الذهب للمسعودي أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الواحد والأربعون: سبتمبر ٢٠١٨. ص٦٨ – ٨٠.

مُقَدِّمَةُ

تُقدم هذه الدراسة رصدًا للعلاقات التجارية بين ساحل شرق أفريقية وبلاد الصين إبان "العصر الوسيط" وتحديدًا في الفترة من القرن (٤-٨هـ/١٠-١٤م) من خلال ما ورد في المصادر العربية والصينية، مع التركيز على "رواية المسعودي" (أبي الحسن علي بن الحسن، ت. ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، في كتابه الموسوم بـ"مُروج الذهب". وهذا المصَنَفُ يُعد من أهم المصادر العربية سواءً من الناحية التاريخية، أم الجغرافية، وكذلك باعتباره عُمدة كُتب الرحلات في العصر الوسيط. ويكشفُ المسعودي في روايته قِدم العلاقات التجارية بين شرق أفريقية والصين، وهو ما شاهده بأم عينيه. فمن خلال هذه الرواية يُميط المسعودي اللثام عن أسرار تجارة "بحر الهند"، أو "البحر الحبشي"، وأهم المراكز التجارية، والرياح الموسمية...الخ، وهي الأمور التي عاينها من خلال الرحلات التي قام بها، وكان خلالها مرافقًا لـ"سفن التُجار" العُمانيين أو السيرافيين.

ونالت كتاباتُ هذه الرحالة اهتمامًا من جانب الباحثين، ولعل من أدق ما ذُكر عن كتابه ذائع الصيت "مُروج الذهب"، ما يشير إليه المستشرق "بازل دافيدسون" (Davidson)، إذ يقوله: "يُعتبر مُروج الذهب أروع كُتب الرحلات في القرون الوسطى، فقد كتب المسعودي تفصيلاتٍ رائعة لرحلاته التي

دراسات

قام بها في ساحل أفريقية الشرقي...". وعلى أية حال، فمن المعروف أن التجارُ العرب، والسيرافيين، وكذلك الهنود لعبوا دورًا مُهمًا في نمو العلاقات التجارية بين موانئ الصين ومراكزها التجارية من ناحية وساحل شرق أفريقية من ناحية أخرى منذ بواكير القرون الهجرية، واشتهر العُمانيون تحديدًا بقدراتهم البحرية عبر سواحل المحيط الهندي حتى سيطروا على التجارة البحرية في هذه المنطقة. ويُقدم المسعودي وصفًا دقيقًا، ومهمًا لساحل شرق أفريقية، وكذلك بلاد الصين، وهي من أقدم الروايات، وأكثرها قيمة في هذا الصدد نظرًا لبُعدها الزمني، ولأنها تقوم على مشاهدات الرحالة للبلاد التي يتحدث عنها، ومن ثم فهي دونما ريب تحمل الكثير من المصداقية أكثر من غيرها من الروايات ممن تعتمد على السماع فحسب

أولاً: وَصفُ بَحر الهِند وبلاد الصِين وساحل شرق أفريقية

لم يَعرف العربُ ولا سكان ساحل شرق أفريقية إلا القليل عن الصين حتى قُبيل القرن السابع الميلادي، كما أن "المصادر العربية" لا تُشير لوجود علاقات بين العرب والصينيين بشكل واضح قبل هذا الحقبة.[١] وتقدم المصادر الوسيطة وصفًا يكتنفه بعض الغُموض عن هذه البلاد النائية، ويرجع ذلك لبُعد الصين الجُغرافي عن "جزيرة العرب"، ويكاد الوصفُ الوارد في المصادر أن يكون متباينًا، لأن أكثر الروايات يعتمد على السماع وليس المشاهدة. وتصف المصادرُ الجُغرافية موقع الصين: بأنها "بلاد الصقع الأول من المَعمور" في الأرض".[٢] وتُعدّ "رواية المَسعوديُّ" (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) من أقدم تلك المصادر التي تحدثت عن علاقات قديمة بين العرب والصينيين، وأشار المَسعوديُّ أيضًا إلى وجود علاقات تجارية أخرى عبر بحر الهند، وإن كانت بشكل أقل عمقًا بين شرق أفريقية والصينيين مع بدايات القرن ٤هـ/١٠م.[٣]

وعلى هذا كانت لـ"رحلات المسعودي"،[٤] ورواياته عن "بحر الهند" (أو البحر الحبشي حسب بعض المصادر)، والموانيء، وكذلك المراكز التجارية به، قيمتها من الناحية التاريخية، والجُغرافية فيما يخص تجارة المحيط الهندي قديمًا، وكذا عادات، وتقاليد الشعوب التي سكنت شرق أفريقية، وكذلك بلاد الصين في هذا الوقت الذي قام فيه برحلاته، ويبدو ذلك من خلال دقة وصفه لحد كبير لما شاهد بعينيه من عادات وتقاليد هذه الشعوب، وجُغرافية المدن والبلدان التي رآها...الخ. وهو ما أفاد من جاء بعده من جل المؤرخين والرحالة قديمًا وحديثًا. ويُشير البُلدانيون العرب إلى أن ما يُعرف بـ"الجزء الأول" من الأرض (أي المعمور من الأرض) هو الذي يُطلق عليه اسم "البحر الأخضر"، وهو ذلك البحر الذي يخرجُ من ناحية المشرق إلى "خط الاستواء"، وهو ذلك الجزء الذي يتكون من كل من: جزائر الصين، وبلاد الهند، والسند.[٥]

ويصفُ "الزُهري" (ت: القرن ٦هـ/١٢م) الصين بأنها "بلادٌ كثيرة، منها ما يقع في البر، ومنها ما يقع في البحر".[٦] وهو ما يشير لامتداد آراضي هذه البلاد، وسعة تخومها مع ما يجاورها من البلاد. وتشير المصادر في ذات الوقت الى "بلاد الصين"، أو ربما بعض أجزاء منها باسم (بلاد التُرك)، أو (تُركستان)، وهو يعني: (أرض التُرك).[٧] بينما يتحدث "الإصطخري" عن تخوم بلاد التُرك، والارتباط بينها وبلاد الصين، إذ يقول: "ومملكة الصين تدخل فيها سائر بلدان الأتراك، وبعض التِبت، ومن دان بدين أهل الأوثان منهم..".[٨] وذلك يعني أن "بلاد التُرك" من خلال ما ورد في روايات المصادر يُقصد بها بعض مناطق الصين. بينما يصفُ ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ/١٣٠٣-١٣٧٨م)، سكان الصين، وعقائدهم، بقوله: "وأهل الصين كُفار يعبدون الأصنام، ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود..".[٩] وإن كانت رواية ابن بطوطة متأخرة عن المسعودي، والإصطخري، لكنها في ذات الوقت رواية مهمة، وتشير إلى أن أكثر سكان الصين في أيامه كانوا من "عبدة الأوثان"، رغم أن الإسلام دخل هذه البلاد منذ القرن (الأول الهجري/ الثامن الميلادي). لكنه يؤكد أيضًا وجود الإسلام بقوة في الصين، إذ يشير إلى أنه بكل مدينة بالصين توجد مدينة خاصة بالمسلمين، وبها مساجد يقيمون فيها شعائرهم الدينية.[١٠] وكان يحكمُ الصين في أيامه ملك من المغول، من نسل "جنكيزخان".[١١] ومن جانب آخر، كانت بلاد الصين تشتهر بكثرة الجزر، ولعل أهمها "جزيرة الموجة"، وهي "أم جزائر الصين".[١٢]

أما رواية المسعودي التي تُعوّل عليها هذه الدراسة أكثر من غيرها من الروايات، فإنه أفاض في وصف "بحر الهند"، أو ما يُطلق عليه أيضًا "البحر الحبشي"، حيث يذكر أن هذا البحر يمتد امتدادًا واسعًا من مناطق الغرب إلى الشرق، وتحديدًا من أقصى "بلاد الحبش" التي يُقصد بها ساحل شرق أفريقية، أو "بلاد الزنج"، إلى أقصى تخوم بلاد الصين والهند.[١٣] بينما يطلق "ابن سعيد" (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) على المحيط الهندي اسم "البحر الهندي".[١٤] ويُعرف هذا البحر حسب بعض الروايات الأخرى باسم "البحر الأخضر"، وكذلك أُطلق عليه "البحر الكبير"، و"البحر المحيط".[١٥] وتُطل على هذا البحر سواحل العديد من البلدان، ولعل منها: بلاد الصين، والهند، والسند،[١٦] وكذلك بلاد عُمان، وعدن، وسواحل بلاد الزنج...وغيرها.[١٧]

دراسات

ولعل هذا يشير إلى الامتداد الجغرافي الواسع لسواحل "المحيط الهندي" (بحر الهند)، بينما يقول "ابن البلخي" عن هذا البحر، وامتداد تخومه، كذلك البلاد التي تقع على سواحله: "وبلادُ الصين والسند والهند وعمان وعدن وزنجبار والبصرة، وبقية الأعمال تقع على ساحل هذا البحر، وكل حافة من هذا البحر تقع على أرض ولاية تُدعى باسم تلك الولاية، وعلى هذا يُقال بحر فارس، وبحر عُمان، وبحر البصرة، وأمثال ذلك...".[١٨] بينما يبلغُ عرض "بحر الهند"، حسب ما ورد في بعض المصادر التاريخية، حوالي: ٢٧٠٠ ميل، بينما يبلغ عرضه في موضع آخر حوالي ١٩٠٠ ميل، وقد تتقاربُ سواحل هذا البحر بسبب قلة العرض في موضع دون مواضع أخرى، ويكثر ذلك، وقيل أيضًا في طول بحر الهند غير ذلك من الأقوال، والأطوال.[١٩]

ويُشير المسعودي إلى أنه ليس في "بلاد المعمور" أعظم من بحر الهند، وله خليجٌ يتصل بـ"أرض الحبشة، وهو يمتدُ إلى ناحية مدينة "بربري"[٢٠] وهي ليست المدينة التي يُنسب إليها "البرابرة" في بلاد المغرب، "لأن هذا موضعٌ آخر يُدعى بهذا الاسم".[٢١] ويُوصف بحر الهند أيضًا بأنه بحر "ذو أمواج عظيمة"، وكأنها "الجبال الشواهق"، وهو "موجٌ أعمى"، ويُقصد بذلك أن البحارةُ كانوا إذا توسطوا بحر الهند، ودخلوا بين أمواجه، فإن هذه الأمواج العاتية كانت قوية الحركة، شديدة الاندفاع، وكان الموج يرتفع بشكل مفاجيء أمام سفن التجار مثل ارتفاع الجبال السامقة. وبعد ذلك كان هذا الموج يخفضُ مرة أخرى كأدنى ما يكون من الأودية، ومع ذلك لم تكن تتكسر أمواج هذا البحر، ثم يُضيف: "ولا يظهر من ذلك الزَبَد..".[٢٢] وفيما تذكر "رواية المسعودي" أيضًا عن هذا البحر فإن الناس يزعمون (يقصد البحارة الذين رافقهم في رحلاته) أن موجه كان لا يكاد يهدأ، فهو في اندفاعه كان على حد وصفه كـ"الموج المجنون". ثم يضيف المسعودي أيضًا: "وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عُمان عربٌ من الأزد..".[٢٣] وهذا يشير إلى أن التُجار العُمانيين بصفة خاصة كانوا من أكثر من غيرهم خبرةً بهذا البحر، وبأسراره، وكانوا أعرف أهل هذا الزمان (أيام المسعودي) بالتجارة في بحر الهند، وكانوا يعلمون أحوال الرياح، وأسرارها، وأوقات هبوبها، ومن ثم كانوا أكثر الناس دراية بالأوقات التي يُؤثرُ الإبحار خلالها سواء شرقًا، أي في اتجاه سواحل الصين، أم أنه من الأفضل أن يُبحروا غربًا في اتجاه "بلاد الزنج"، وساحل شرق أفريقية.[٢٤]

أما ساحل شرق أفريقية في مصادر العصور الوسطى (Medieval Ages)، فإنه يُقصد بها تلك البلاد التي يسكنها "الزِنج"، وهي التي تُعرف في المصادر الوسيطة باسم "بر الزِنج" (Zanj)، وهي البلاد التي تمتدُ بطول الساحل الشرقي للقارة الأفريقية بطول سواحل المحيط الهندي حتى مدينة سُوفالة (سوفالا) (Sufala).[٢٥] وتُحدد المصادر تخوم "بلاد الزنج" بأنها تمتد من أول "نيل مقدشو" الذي يخرج من "بحيرة كوري" تحت خط الأستواء وحتى سوفالة.[٢٦] وثَمة عاداتٌ ارتبطت بهذه الشعوب، ومنها ما يقوله الزُهري: "هم قومٌ يسكنون وراء جبال الأردكان على النيل الداخل عندهم..فمن عجائب هؤلاء القوم أنهم ما رآهم أحد قط إلا عَمِّي بصره ساعةً، ولا يرون أحدًا من غير بني جنسهم إلا عميت أبصارُهم. ولقد تأتي إليهم النوبة والحبشة بالمتجر من بلادهم كالملح، وهو أرفعُ ما يُحمل إليهم فيجعل كل واحد منهم سلعة على ضفة النيل ويذهب. فيأتي الزنج بالتبر ويجعلونه أمام كل سلعة مكدسًا..".[٢٧] وعن تخوم الزنج، يقول ابن سعيد: "وفي شرقي هذا النيل آخر حد البلاد البربرية، وأولُ حد بلاد الزنج..".[٢٨] بينما يصف العُمري بلادهم بقوله: "وأهلها سحرة، يصيدون الوحش الضاري بالسحر..".[٢٩] أما حسب علماء الأجناس، فالشعوب الزنجية عامة تتميز بأنها ذات بشرة سوداء، والشعر المُجعد.[٣٠]

وعن رحلاته التي قام بها إلى "بلاد الزنج"، يقول ابن بطوطة: "ثم ركبتُ من مدينة مقدشو متوجهًا إلى بلاد السواحل قاصدًا مدينة كِلوا من بلاد الزنوج...".[٣١] بينما يُشير بازل دافيدسون (Basil Davidson) إلى أن المسعودي لما تحدث في روايته عن شعوب الزنج (أو الزنوج)، فإنه كان يقصدُ بها تلك الشعوب التي كانت تقطن ساحل شرق أفريقية من القرن الأفريقي وحتى ميناء سُوفالة.[٣٢] كما تُعد جزر قَنبلو، ومدغشقر جزءًا من "بلاد الزنج" التي كان يقصُدها المسعودي في روايته.[٣٣] ورغم أن العلاقات التجارية بين شرق أفريقية والصين كانت علاقات قديمةً، وترجع لبواكيرالعصر الوسيط، إلا أنه نادرًا ما ورد عنها أخبار في "المصادر الصينية" (Chinese Sources). ومع ذلك فمن الممكن الحصول على بعض الأخبار التي قد يُستفاد بها من خلال تلك المصادر على ندرتها. فإن بعضها ترجع للقرنين السابع والثامن الميلاديين وتتحدث عن "الشعوب الرعوية" بـ"الصومال"، ومن عاداتهم أنهم كانوا لايُقبلون على تناول الحبوب، وأنهم يُؤثرون شُرب الألبان من ماشيتهم.[٣٤] وتذكر "المصادر الصينية" أن بعض الشعوب الرعوية في شرق أفريقية كانت لها عادات وتقاليد تتسم بالغرابة، ومنها أنهم كانوا يشربون دماء الماشية التي يقومون برعايتها.[٣٥] كما تشير بعض المصادر الصينية، من جانب آخر، إلى أن بعض هذه الشعوب كانوا يتسمون بشيء من القسوة، وكذلك الفظاظة،[٣٦] وهذه ليست بالطبع سمة عامة لديهم، بل إن الراجح أن هذه الصفات كانت لدى جماعات قليلة منهم، ولا يجب التعميم في ذلك. وتطلق المصادر الصينية عليهم

أسم: "ماو (مو)- لين" (Mo-Lin)، وهم في رأي البعض سكان ماليندي (ملينديي)[٣٧] التي تقع على سواحل شرق أفريقية.[٣٨]

ثانيًا: الرياحُ الموسمية ودورُها في الحركة التجارية البحرية

ارتبطت بلادُ شرق أفريقية، وبلاد الصين بالعديد من المقومات الطبيعية التي ساعدت بشكل أو بآخر على دوام الحركة التجارية بين الوافدين من كلا هاتين المنطقتين. وسوف نحاول في هذا الصدد الحديث عن واحدٍ من أهم هذه المقومات الطبيعية، وتحليله لمعرفة دوره في تطور النشاط التجاري بين ساحل شرق أفريقية والصين، إما سلبًا أو إيجابًا. ومن أهم هذه المقومات التي أعانت على نمو التعاون التجاري بين الطرفين ما يُعرف بـ"الرياحِ الموسمية" (Seasonal Winds)، وهي الرياح التي لعبت دورًا في التواصل التجاررري بين ساحل شرق أفريقية والصين، رغم الصعوبات والمخاطر التي تشكلها هذه الرياح التي كانت تهب على "بحر الهند"، إلا أن سكان هذه البلاد تعلمت من خلال تجاربها عبر السنين في الإبحار بين أمواج هذا البحر الهائجة خلال أكثر أوقاتها، وأدركوا كيفية الاستفادة من هذه الرياح، وأن يطوعوها لخدمة وتجارتهم، وألا تُسبب لهم عائقًا للتواصل بين مناطق أقصى الشرق وأقصى الغرب.[٣٩]

ويذكرُ صاحب "مروج الذهب" أن البحارة في هذه البلاد كانوا يعرفون آوان هذه الرياح، ووقت هبوبها بحكم التجربة، وكذلك العادة، وأنهم كانوا يتوارثون معرفة ذلك فيما بينهم، ولهم في هذه المعارف بأوقات هبوب الرياح الموسمية علامات وإشارات يعملون بها إبان هبوب هذه الرياح.[٤٠] وعن "الرياح الموسمية"، يقول المسعودي: "ولكل من يركب هذه البحار من الناس يعرفونها في أوقات تكون منها مهابّها قد عُلم ذلك بالعادات، وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولاً، وعملاً، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبان هيجانه، وأحوال ركوده، وثوراته. هذا فيما سمينا من البحر الحبشي والروم والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك، وكذلك من يركب بحر الخزر إلى بلاد جرجان، وطبرستان، والديلم...".[٤١]

وعلى هذا، أدرك التُجارُ العرب، وغيرهم من تجار جنوب شرق آسيا ومن بينهم الصينيون، أسرار "الرياح الموسمية"، وأنها تهب مرتين في السنة، وهو ما مكنهم من استغلال تلك الظاهرة الموسمية، ثم القيام برحلتين من سواحل شرق آسيا إلى سواحل شرق أفريقية. وكانت الرحالة الأولى في "فصل الخريف" (أو ما تُعرف بـ"رحلة الشتاء") حيث "الرياحُ الموسمية" كانت تدفعُ السفن في اتجاه جنوب غرب إلى شرق أفريقية.[٤٢] أما خلال "الربيع" (رحلة الصيف)، فكانت "الرياح الموسمية" التي تهبُ على ساحل "بحر الهند" تدفع السفن في اتجاه شمال شرق، وبذلك كانت السفن الموجودة قرب ساحل شرق أفريقية تتمكن من العودة لقواعدها مرة أخرى إلى موانئ الساحل الآسيوي.[٤٣] ويمكن القولُ بأن "الرياح الموسمية" شكلت ما يمكن أن يكون سرًا من الأسرار التي احتفظ بها البحارة العرب أكثر من غيرهم من بحارة شرق آسيا، وهو ما جعلهم قادرين على السيطرة على مسالك ومحطات التجارة البحرية عبر سواحل المحيط الهندي.[٤٤] ويقال إن الرحلة من الصين لسواحل عمان ذهابًا وإيابًا كانت تستغرق قرابة العام.[٤٥] وعُرفت التجارة البحرية التي ترتبط بـ"الرياح الموسمية" بصفة عامة بـ"رحلات الشتاء والصيف".[٤٦] وهذه التسمية دون ريب على غرار "رحلتي الشتاء والصيف" التي كانت تقوم بهما القوافل العربية إلى بلاد الشام واليمن فيما قبل الإسلام. وثمة إشارةٌ يشير إليها البعضُ وهي أن "التجارة البحرية"، وانتظامها، بين الساحل الأسيوي وشرق أفريقية شهدت حالة من الازدهار مع بدايات القرن (الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي)، وهو ما يبدو من "رواية المسعودي". كما يجدرُ الإشارة في هذا الصدد إلى أن النشاط التجاري لـ"الدولة الإسلامية" كان قد انتقل خلال حقبة القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) من الشرق إلى سواحل البحر الأحمر.[٤٧]

ثالثًا: العُمانيون والسيرافيون والوساطة التجارية بين ساحل شرق أفريقية والصين

لعب العُمانيون أكثر من غيرهم من تجار العرب، الدور الأهم في التجارة بين ساحل شرق أفريقية من جانب والهند والصين من جانب آخر، وهو ما يعرف بـ"الوساطة التجارية".[٤٨] وهذا ما يبدو جليًا من خلال المصادر الوسيطة. فالمسعودي يذكر أنه أبحر أكثر من مرة مع سفن يقودها البحارة العمانيون، وأنه أبحر إلى بلاد شرق أفريقية وجنوب شرق آسيا، والراجح أنه ذهب إلى سواحل الصين أيضًا، وهو ما يبدو جليًا من كثرة حديث المسعودي عن الصين، وتاريخها، وأخبار حكامها. يقول: "وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم (البحر الأحمر) واليمن (خليج عدن)، وأصابني فيها من الأهوال ما لا أُحصيه كثرة، فلم أُشاهد أهوال من بحر الزنج".[٤٩] ومن المؤكد أن هذا الكلام يشير إلى أن المسعودي سافر إلى بحر الصين خلال رحلاته العديدة، وهو ما يشير في ذات الوقت إلى أنه استقر بموانئ الصين فترة خلال أسفاره الطويلة. ويقول المسعودي في موضعٍ آخر عن معارف العُمانيين بأسرار البحر، وما يرتبط به من مظاهر طبيعية قد تؤثر على

دراسات

رحلاتهم: "وذهب كثيرٌ من نَواخذة[٥٠] البحر الحبشي من العُمانيين والسيرافيين من يقطعون هذا البحر، ويختلفون إلى عمائره من الأمم التي في جزائره وحوله إلى أن المَّد والجَّزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة، مرة يمد في الصيف شرقًا بالشمال ستة أشهر، فإذا كان ذلك طغا الماء في مشارق الأرض وبالصين، وما وراء ذلك الصقع، وانحسر بالصين من مغارب البحر. ومرة يمدُ في شهور الشتاء غربًا بالجنوب ستة أشهر، فإذا كان الصيف طفا الماء في مغارب البحر، وانحسر بالصين..."، [٥١] وهو ما يشير لمعارفهم الكبيرة بأحوال البحر عند سواحل الصين، وكذلك لدور السيرافيين في هذه التجارة.[٥٢]

ومما لاريب فيه، أن "التباعُد الجُغرافي" بين كل من شرق أفريقية وبلاد الصين أدى إلى قلة التعامل المباشر بين التجار من الطرفين إلى حد ما، وهو ما جعل التجار العُمانيين يقومون بدور "الوسيط التجاري" الرئيس بين التجار في شرق أفريقية من جانب، والتجار الصينيين من جانب آخر.[٥٣] وكان العُمانيون أكثر التجار الذين كانوا يسافرون عبر بحر الهند، ومن كثرة إبحار السفن العمانية عبر هذا الطريق، صاروا سادة لهذا البحر، وكانوا يعرفون أسراره أكثر من غيرهم. ويقول المسعودي عن البحارة العمانيين: "وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان...فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين الأمواج، ترفعهم، وتخفضهم...".[٥٤] ويقال إن المسعودي كان قد مكث مع التجار العُمانيين ثلاث سنوات بشرق أفريقية في إحدى المرات.[٥٥] ومن المؤكد أن العُمانيين كانوا يعرفون الأخطار التي تحيط بهم خلال أسفارهم الطويلة في عُباب بحر الهند. ورغم محاولات بعض المستشرقين التقليل من أهمية الدور العربي (وخاصة العُماني) في نمو الحركة التجارية بين شرق أفريقية وبلاد جنوب شرق آسيا عمومًا منذ بدايات القرون الهجرية الأولى، إلا أن هذا لا يغير من الحقيقة الناصعة التي تؤكدها المصادر الوسيطة سواء العربية أم غير العربية، حول الدور العُماني المهم في هذا الصدد. ومن هؤلاء "رولاند أوليفر" Roland Oliver الذي يشير إلى أن أقدم المستوطنين العرب في مدن شرق أفريقيا خلال القرن (الثامن الميلادي/ الثاني الهجري) من اللاجئين العمانيين.[٥٦]

ومن خلال هذه الإشارة الآنفة التي يحاول صاحبُها دون ريب أن يُقلل من قيمة الدور العربي لاسيما الدور العُماني في شرق أفريقية، ومحاولة إظهار الجماعات العربية العديدة التي سكنت هذه البلاد في صورة اللاجئين الذين قدموا إلى هذه البلاد، رغم أن الدور العماني التجاري يكاد يكون أقدم من "الهجرات العمانية" التي جاءت إلى ساحل شرق أفريقية مع "أسرة الجلندي".[٥٧] لكن المستشرق "رولاند أوليفر" (Roland Oliver)، وغيره من دارسي الغرب، يحاولون أن يُظهروا الوجود العربي في ساحل شرق أفريقية بشكل كامل "كأنه كان مجرد استقرار للاجئين"، رغم أن هذا الدور المهم على سواحل شرق أفريقية كان دورًا تجاريًا من "الطراز الأول"، وأفاد سكان هذه البلاد، وساهم في ازدهارهم اقتصاديًا.[٥٨] وتُعد "رواية السيرافي" عن "التاجر سليمان" من المصادر التاريخية المهمة عن الدور العُماني في نمو التجارة البحرية عبر سواحل "بحر الهند"، وهي روايةٌ تؤكد في ذات الوقت قِدم العلاقات التجارية بين كل من التجار العرب، وسكان شرق أفريقية، وكان "السيرافي" معاصرًا لأيام أبي الحسن المسعودي.[٥٩]

ومما أورده السيرافي أنه كان للعرب هيبة في قلوب سكان شرق أفريقية، حتى يُقال إنهم إذا رأوا العربي كانوا يسجدون له، وكانوا يقولون إنه قدم من مملكة ينبت بها شجر التمر (أي جزيرة العرب)، وكان للتمر جلال في قلوبهم.[٦٠] ويحدثنا الرحالة المسعودي من جانب آخر في ثنايا روايته عن أسماء بعض البحارة خلال آخر رحلة قام بها في المحيط الهندي في سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م)، وكانت هذه الرحلة قد بدأت من سواحل عمان، وكانت الغاية منها الوصول إلى جزيرة "قنبلو" (مدغشقر) عند ساحل شرق أفريقية.[٦١] وعلى هذا، فإن رواية أبي الحسن المسعودي عن هذه الرحلة البحرية التي قام بها على قدر كبير من الأهمية لكل من جاء بعده من المؤرخين، كما أنه يتحدث في ذات الوقت بعض المخاطر والصعوبات التي من الممكن أن يتعرض لها البحارة والتجار العمانيون خلال رحلاتهم عبر بحر الهند.

وإلى جانب العُمانيين، كان للتجار السيرافيون، وهم اشتهروا نسبة لميناء "سيراف" الذي يقع على ساحل الخليج العربي لـ"بلاد فارس"، دورٌ مهمٌ في حركة النشاط التجاري البحري عبر سواحل "بحر الهند" (البحر الحبشي)، وهو ما يؤكده المسعودي في روايته، ويبدو ذلك واضحًا من كثرة حديث المسعودي عن نشاط "المراكب السيرافية"، وكذلك روايته عن "ناخذة السيرافيين"، ويقصد بهم "أرباب السفن" القادمين من ميناء "سيراف".[٦٢] كما أن المسعودي يتحدث عن معرفة التجار وكذلك البحارة السيرافيين بـ"الرياح الموسمية"، وأوقات هبوبها، ومتى يقع المدَّ والجزَّر في "بحر الهند"، كما أن المسعودي يشير إلى أن السيرافيين كانوا قد توصلوا لكيفية استغلال ظواهر البحر وأمواجه، وكذلك هبوب الرياح وأوقاتها في رحلاتهم البحرية إلى سواحل شرق أفريقية من جانب، وكذلك لسواحل بلاد الهند والصين على الجانب الآخر.[٦٣]

وكان التجار والبحارة الفرس، ومنهم السيرافيون بالطبع، كثيرًا ما يذهبون بهدف التجارة في الأسواق التي توجد في بلاد الصين، وكانت الأسواق في هذه البلاد عامرةً بالسلع والبضائع التي كان يحتاج إليها العرب والفرس، وكذلك سكان شرق أفريقية. ومن ذلك إشارات ذلك المهمة ما يتحدث عنه المسعودي عن أحد تجار خراسان، ذهب هذا التاجر الفارسي لسواحل الصين، وغيرها، وهي البلاد التي يصفها بقوله: "وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من أهل سيراف وعمان في هذا الوقت، وكان يجتمعون هناك مع من يرد من بلاد الصين في مراكبهم...".(٦٤) ويذكر أبو الحسن المسعوديّ أن مراكب الصينيين كانت كثيرًا ما تأتي إلى ميناء سيراف على ساحل الخليج العربي.(٦٥) وهذا ما يؤكد فكرة التواصل التجاري المباشر بين تجار سيراف والصينيين، كما أن ذلك يشير بشكلٍ بيّنٍ إلى أن السيرافيين كان لهم دورٌ في الوساطة التجارية بين شرق أفريقية والصين. ويتحدث المسعودي عن رحلاته في بحر الهند، ويذكر أسماء من رافقهم من البحارة السيرافيين، وتحديدًا خلال آخر رحلة قام بها سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، وكانت هذه الرحلة من "قنبلو" إلى سواحل عمان.(٦٦)

وعن هؤلاء البحارة السيرافيين، يقول أبو الحسن المسعودي في روايته المهمة في هذا الصدد: "وفي بحر الحبش آخر مرة ركبت فيه سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦م) من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان وذلك في مركب أحمد وعبدالصمد أخوي عبدالرحيم السيرافي بـ"ميكان"، وهي منطقة تقع في سيراف، وفيه غرقًا في مركبهما وجميع من كان معهما..".(٦٧) ولا نعلم إذا كان المسعوديّ ذهب خلال هذه الرحلة أيضا إلى بحر الصين، ومنه إلى موانئ الصين مثل الرحلات السابقة، وهو ما أشار إليه في العديد من المواضع في "مروج الذهب"، إما تلميحًا، أو تصريحًا. وعلى جانب آخر، كان لـ"التجار الهنود" أيضًا دورٌ لا سبيل لإنكاره في نمو التجارة عبر "بحر الهند" بين ساحل شرق أفريقية والصين، وهو ما يشير إليه عدد من الباحثين، غير أنه لابد من التأكيد على أنه لا مقارنة البتة بين الدور العُماني من جانب، والدور الهندي أو السيرافي من جانب آخر في حركة التجارة بين شرق أفريقية وبلاد الصين، إذا إن "الدور العماني" كان مسيطرًا لحد كبير على هذا النشاط التجاري خلال أكثر فترات العصر الوسيط.(٦٨)

وعلى أية حال، فإنه كان لكل من التجار العُمانيين، والسيرافيين، وكذا الهنود دورهم في التجارة البحرية عبر سواحل بحر الهند. وعن دور التجار الهنود يُشير البعضُ، ومنهم (Roland Oliver) "أوليفر رولاند"، إلى أنه مع نمو النشاط البحري في المحيط الهندي، لا سيما خلال عصر "أسرة سري فيجايا" بجزيرة "سومطرا"، فإن ملوك هذه الأسرة تمكنوا من السيطرة على التجارة في كثير من المناطق على سواحل المحيط الهندي خلال الحقبة التي تمتد من القرن الثامن (القرن الثاني الهجري)، وحتى القرن الثاني عشر (القرن السادس الهجري) الميلاديين.(٦٩) ومن المؤكد أن هذه الإشارة تؤكد على وجود تأثير تجاري واقتصادي مهم قام به التجار الهنود في التجارة البحرية بصفة عامة، ومن الواضح أنه ربما دانت لهم بعض السيطرة على جانب ليس بالقليل من هذه التجارة، وهو ما أدى لازدهار هذا النشاط، ومن ثم رواج حركة نقل البضائع بين شرق أفريقية وبلاد الصين، لاسيما مع قرب السواحل الصينية من الهند، وعلى هذا، يعتقد الباحثُ أن التجار الهنود لعبوا دورا لا يمكن إغفاله في تنشيط التجارة بين الطرفين.

رابعًا: جوانب من العلاقات التُجارية بين ساحل شرق أفريقية والصين في المصادر العربية والصينية

أدى تنوعُ المنُتجات والسلع التي كان ينتجها سكان شرق أفريقية، والصناع الصينيون لوجود حاجة ضرورية لدى كل منهما للحصول على منتجات الطرف الآخر، لاسيما مع اختلاف البيئة، والظروف المناخية في كل منهما. ولذا لم يكن غريبًا أن تأتي "السفن الصينية" حسب رواية المصادر العربية والصينية إلى موانئ شرق أفريقية، وكذلك أبحرت "السفن الصينية" حتى سواحل "بحر القلزم"، وكانت "السفن الصينية" تحمل على المنتجات والبضائع المحلية.(٧٠) وتشير بعض المصادر لقدوم السفن الصينية لساحل شرق أفريقية بأعداد كبيرة.(٧١) وكان بعضُ ملوك الصين اهتموا بالتجارة بسبب الظروف الاقتصادية التي تمر بها بلادهم، ومنهم ملوك أسرة سونج، ووجدوا ضالتهم في التجارة البحرية.(٧٢) ويُعتقد أن التُجار الأفارقة قاموا أيضًا برحلات تجارية لموانئ الصين منذ القرنين السادس والسابع، وهو ما يستدل عليه من خلال الرسوم التي ترجع لـ"أسرة تانج" (التانغ) إذ تصور بعض الأشخاص من ذوي الأصول الأفريقية على جدران بعض "المغارات البوذية".(٧٣) ومما يشير لاهتمام الصينيين بشرق أفريقيا أن أحد مؤرخيهم ويدعى "وانج تايوان" وضع مصنفًا تاريخيًا وجغرافيًا يتحدث فيه عن أهم الموانئ والجزر بشرق أفريقية، ومنها قنبلو، ومدغشقر، وجزر القمر.(٧٤) وتتحدث "المصادر الصينية"، أو ما يعرف بـ"أخبار المينج"، عن وصف دقيق لبعض الحيوانات ومنها "حمار وحشي" من أصل أفريقي.(٧٥)

ويشيرُ ثُلة المؤرخين إلى أنه ربما لا توجد إشاراتٌ على وجود الصينيين التجاري في ساحل شرق أفريقية قبل القرن (٩هـ/١٥م)، وتقدم إحدى "الخرائط الصينية" صورة عن بلاد أفريقيا وهي صورة أقرب إلى الواقع.(٧٦) ومن مظاهر التبادل التجاري الأخرى التي يذكرها المسعودي، أن أحد ملوك الصين أمر بصنع عدد كبير من السفن التجارية، ثم حمل هذا الملك فيها التجار من بلاده، وكذلك حمل معه بعض السلع والبضائع من بلاد الصين، ثم أبحر هذا الملك، ثم عبر "بحر الهند" (بحر الحبش) إلى بلاد الهند، ثم السند، وبابل، وسائر الممالك القريبة منها، وسافر ملك الصين بعيدًا، حتى أبحر عبر بحر الهند، ثم سافر لبلاد أخرى نائية.(٧٧) وحسب المصادر، فإن ملك الصين أهدى من جانبه ملوك البلاد التي زارها بعض الهدايا النفيسة التي حملها معه من بلاده، ثم إنه لما عاد من رحلته البحرية الطويلة، أحضر معه من كل بلد زارها من المنتجات، والتحف النادرة التي لم تكن موجودة في الصين، وكذلك أحضر هذا الملك معه أصنافًا شتى من المأكل، والمشرب، والملابس، وكل ما أستطاع أن يحضره معه إلى بلاده.(٧٨) ثم رد ملوك هذه الدول على هدايا ملك الصين، وزيارته لبلادهم، فأبحروا إلى الصين، وحملوا معهم ما استطاعوا من البضائع، وأهدوا هذا الملك مقابل ما أهدى إليهم من الهدايا.(٧٩)

ورغم أن أبالحسن المسعودي لم يذكر بشكل صريح أن ملك الصين سافر إلى ساحل شرق أفريقية ضمن البلاد التي سافر إليها، فإنه لا يُستَبعد في ذات الوقت أن يكون زار هذه البلاد أيضًا، وكذلك عُمان، وهو ما يبدو بشكل مُستتِر من ثنايا هذه الرواية، وخاصة من خلال إشارة المسعودي إلى أن ملك الصين زار "بلاد بعيدة أخرى" لم يذكرها المسعودي، حيث إن بها من السلع ما لم يكن يوجد في أي بلاد أخرى، لا سيما وأن ملك الصين فيما يبدو كان مغرمًا بالأشياء النادرة. ومن مظاهر التبادل التجاري المباشر بين شرق أفريقية والصين في حوالي منتصف القرن (٩هـ/١٥م)، تُظهر "رسومات صينية" لبعض الزرافات التي جاءت من أفريقيا، كما تتحدث "المصادر الصينية" عن البضائع التي كان يستوردها الصينيون من شرق أفريقية.(٨٠)

وفي سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥) قام أسطول صيني يتكون من عدد كبير من السفن يقودها بحار يدعى "تشنج"، قام بعدة رحلات بلغت سبع رحلات في بحر الهند.(٨١) ثم استقر في ساحل شرق أفريقية مرتين، كانت "الرحلة الأولى" سنة ٨٢٢هـ/١٤١٧م، بينما كانت "المرة الثانية" في الفترة فيما بين (٨٣٥-٨٣٧هـ/١٤٣١-١٤٣٣م).(٨٢) وخلال "الرحلة الأولى" وكانت رحلة مهمة جدًا حيث وصل البحار الصيني إلى ميناء ماليندي على ساحل شرق أفريقية بهدف التجارة، ثم عاد وحمل معه وفدًا من طرف أحد ملوك شرق أفريقية في رأي الباحث، وكان هذا الوفد أرسل سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م ليُقدم هدية أرسلها في الغالب "أمير ماليندي إلى الإمبراطور الصيني، وكان من بين الهدايا الثمينة "زرافة" جيء بها من أدغال القارة الأفريقية.(٨٣) كما ورد اسم مدينتي "براوة" و"مقدشو" في أخبار "الرحلة الثانية" لهذا البحار الصيني.(٨٤) ومن جانب آخر، تحدثت "المصادر الصينية" عن بعض المدن على ساحل شرق أفريقية، ومنها كِلوة، وقدمت وصفًا دقيقًا لها، ومنازلها التي كانت تتكون من أربعة إلى خمسة طوابق.(٨٥)

ويوجد أحد الموانئ على ساحل "بحر القلزم" كانت ترفأ إليه السفن الصينية يعرف بـ"الجارُ"، وتبلغ المسافة بينه وبين المدينة يوم وليلة.(٨٦) ويقول مؤلف "مخطوطة كتاب أسماء تَهامة وسكانها وما فيها من القرى" عن هذا الميناء: "والجار على شاطئ البحر، ترفأ إليه السفن من أرض الحبشة، ومصر، ومن البحرين (ويقصد بها: عُمان) والصين، وهي قرية كبيرة آهلة بالسكان.. وبالجار قصور كثيرة.. وبحذاء الجار جزيرة في البحر تكون ميلاً في ميل لا يعبر إليها إلا في سفن..".(٨٧) وهو ما يشير في الغالب لقدوم "السفن الصينية" عبر "بحر الهند" وبحر القلزم حاملة البضائع لموانئ جزيرة العرب، وكذلك بالطبع سكان شرق أفريقية لأن السفن الصينية لن يمكنها العبور إلى "بحر القلزم" إلا عن طريق الاتصال بساحل شرق أفريقية.

ويشير رحالتُنا المسعودي أيضًا إلى أن مراكب التُجار الصينيين كانت تأتي دومًا إلى موانئ عُمان، وكذا سيراف، وغيرها من موانئ الخليج العربي، ومن ذلك قوله: "وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف، وساحل بلاد فارس وساحل البحرين والأبلة والبصرة، وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك...".(٨٨) وفي هذا الصدد، يشير المسعودي إلى إحدى المدن الصينية والتي كان يعتبرها من أهم المراسي والموانئ البحرية على ساحل بلاد الصين، وكانت تَقصُدها السفن والمراكب القادمة من مناطق الغرب (أي من جزيرة العرب)، وهذه المدينة كانت تُدعى باسم: "خانقوا"، حيث يقول المسعودي في روايته عن أحد التجار العرب في الغالب الذي زار بلاد الصين بغرض التجارة: "ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة في مراكب الصينيين إلى مدينة خانقوا وهي مرسى المراكب...".(٨٩)

ويحكي ابن فضل الله العُمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) أن أحد الأشراف كان قد أخبره بأنه سافر ذات مرة على متن أحد "المراكب الصينية"، وعلى الراجح أن تلك الرحلة عبر بحر الهند كانت بهدف التجارة في أسواق الصين، ويصف الرجلُ ضخامة السفينة الصينية التي حملته في هذه الرحلة و"كأنها المدينة"، نظرًا

لكبر حجمها، واتساعها.(٩٠) وكانت السفينة تحمل قرابة ثلاثة آلاف شخص، وسبعين شخصًا آخرين، هذا غير ما كان بها من النساء، وكان من بين هؤلاء (مائة وثلاثون) من التجار، "والبقية قل أن يكون فيهم رجل وليس معه بضاعة".(٩١) وهذا يُشير إلى أن عدد التجار المذكورين (وهم ١٣٠ تاجرًا) يُقصد بهم كبار التجار، أما الباقون بالسفينة فهم من صغار التجار، بجانب نساء بعض التجار، وأبنائهم ممن يرافقونهم خلال رحلة التجارة. وكانت أسواق الصين عامرة بالبضائع، وكان التجار (العرب) يربحون من التجارة مع الصينيين أموالاً طائلة، ويذكر العُمري أنه سمع من أحد التجار الذين ذهبوا لـ"أسواق الصين"، وأخبره أن بعض التجار ربما يربح من تجارته هذه قرابة "ألف ألف دينار".(٩٢) وهو ما يعادل مليون دينار من الذهب، وهي أرباح طائلة من التجارة، وهو ما يؤكد على أي مدى اهتم التجار العرب بالذهاب إلى بلاد الصين، وكذلك نقل بضائع شرق أفريقية إلى الأسواق هناك.

خامسًا: تَنوّعُ السلع والمُنتجات بين الصين وشرق أفريقية

ومن أبرز مظاهر العلاقات التجارية التي جمعت بين المحطات البحرية والمراكز التجارية الكبرى في كل من بلاد شرق أفريقية من جانب، وبين الموانئ والمرافئ الصينية على بحر الهند من جانب آخر، لاسيما مع بروز تنوع واضح للسلع والبضائع في أسواق كلا الجانبين، إذ كان يتمتع كل منهما بأنواع معينة من المنتجات والسلع التي لم تكن متوفرة لدى الجانب الآخر، ولعل من أهم المنتجات والسلع التي كان يتم تبادلها بين الطرفين خلال العصر الوسيط:

١/٥-المنتجات الصينية:

اشتهر الصينيون بالعديد من المنتجات والسلع، وكان من بين هذه المنتجات الصينية ما لقى رواجًا خارج تخوم هذه البلاد، ولعل من أشهر تلك المنتجات التي زاد الطلب عليها بين سكان شرق أفريقية: "البورسلين" أو ما يُعرف بـ"الخزف الصيني"، وكان من أشهر أنواع الخزف الذي انتشر في بلاد شرق أفريقية ذلك الخزف الذي يرجع لـ"أسرة سونج" الصينية المتأخرة، هذا إضافة أيضًا إلى الخزف الذي يرجع لبواكير "أسرة مينج".(٩٣) كما أن "الحرير الصيني" كان منتشرًا هو الآخر في أسواق شرق أفريقية، وكان الصينيون يشتهرون بصناعة أجود أنواع الحرير.(٩٤) وتم الكشف في إحدى الجزر قرب جزيرة "كلوة".(٩٥) عن العديد من قطع الخزف وكذلك الأواني ذات الأشكال المزججة والتي يرجع يرجع أصلها إلى بلاد الصين، هذا بالإضافة إلى العثور على بعض القطع والآواني من الخزف الصيني والتي ترجع لآواخر "أسرة سونج" الصينية، وحتى بداية "أسرة مينج".(٩٦) كما ذاعت في أسواق شرق أفريقية أنواع شتى من النباتات والفواكه كانت قادمة من جنوب شرق آسيا، ومنها بالطبع من بلاد الصين، مثل الموز (Bannana)، وجوز الهند (Cocounut)، وغيرهما.(٩٧)

واشتهر الصناع والحرفيون الصينيون بعمل بعض المنتجات والسلع من الأحجار الكريمة، وكذلك شبه الكريمة، ومنها (الودع)، وهو نوع نفيس من الأصداف يتم استخلاصه من "بحر الهند".(٩٨) وكان يستخدم في عدة طرق، منها العلاج والتطبيب، وسك "العملة"، وكان يصدر لأسواق بلاد السودان عمومًا، ويُقصد بها تلك البلاد التي تقع جنوب الصحراء، ومنها ساحل شرق أفريقية، وكان يتم ذلك عن طريق التجار الشرقيين والأوروبيين.(٩٩) كما اشتهرت بعض الجزر بالقرب من سواحل الصين بوجود "مغاص اللؤلؤ".(١٠٠) كما صدر الصينيون الورق، والكافور، والقماش، والقرفة، والسروج، والمسك..إلخ.(١٠١)

٢/٥-منتجات شرق أفريقية:

يُعَدّ الذهبُ من أهم السلع التي كانت تصدر من مناجم شرق أفريقية إلى الأسواق في بلاد الصين، وكذلك غيرها من البلاد التي تقع على ساحل جنوب شرق آسيا.(١٠٢) ولهذا تصف المصادر التاريخية شرق أفريقية (أو بلاد الزنج) بقولها: "وببلاد الزنج معادن الذهب..".(١٠٣) وسمع العُمري من الثِقات ممن حدثوه عن "النواخذة" (أرباب السفن)، وهم في الغالب من التجار العُمانيين والسيرافيين عن شهرة شرق أفريقية بـ"المعدن النفيس".(١٠٤)

وكان ملوك زيمبابوي (روديسيا) في القرن (٧هـ/١٣م)، أظهروا اهتمامًا باستخراج الذهب من مناجم شرق أفريقية، والاستفادة من تجارته مع العرب والآسيويين.(١٠٥) وجعل تجار شرق أفريقية ميناء "سوفالة" الذي أقامه التجار العرب تحديدًا باعتباره "ميناء الذهب"، وصار هذا الميناء بمثابة المركز الرئيس لتجارة الذهب في شرق أفريقية، وتصديره لسائر البلدان. ولما قامت "سلطنة كِلوة" (٦٧٦-٨٢٤هـ/١٢٧٧-١٤٢١م)، ظلت سوفالة لها ذات المكانة في تجارة الذهب.(١٠٦) ولهذا يصف العُمري هذا الميناء بقوله: "بلاد سُفالة (سوفالة) الذهب...".(١٠٧) وهو ما يشير لامتداد هذا الميناء، وكذلك سعته الكبيرة بفضل إقبال التجار من كل حدب وصوب على القدوم إليه للحصول على الذهب. وكان "العاج"، أو "سن الفيل"، من المنتجات التي اشتهرت بها بلاد السودان، وكذلك شرق أفريقية، وكان يتم تصديره إلى الصين، والهند.(١٠٨) وكان العاج يستخدم في مجالات صناعية، وفنية عديدة، وكانت القوافل تحمل العاج من أفريقيا، سواء من شرق أفريقية أم بلاد المغرب، وكان يصدر العاج إلى أسواق الصين، وغيرها من أسواق جنوب

شرق آسيا.(١٠٩) وتُعَدّ تجارة الرق من السلع التي كانت تفد من شرق أفريقية إلى بلاد الصين، وهو ما تشير إليه أيضًا بعض المصادر الصينية.(١١٠) كما أن شهرة شرق أفريقية بكثرة الغابات التي تعيش فيها أنواع شتى من الحيوانات النادرة جعل مثل هذه الحيوانات من السلع التي كان يُقبل عليها الصينيون، ومنها الزراف، والحُمُر الوحشية، وغيرها، وكانت مثل هذه الحيوانات تُرسل هدايا من ملوك شرق أفريقية إلى أباطرة الصين خلال العصر الوسيط.(١١١) كما أقبل الصينيون على الحصول على خشب الصندل الأصفر، والعنبر من ساحل شرق أفريقية.(١١٢)

خَاتِمَةٌ

ومن خلال تناول موضوع هذه الدراسة، يمكن الخروج بعدة استنتاجات:

- بينت الدراسة أن كتاب (مُروج الذهب) لـ"أبي الحسن المسعودي" يُعد العرب" من أقدم المصادر العربية التي تحدثت عن العلاقات التجارية بين ساحل شرق أفريقية وبلاد الصين في العصر الوسيط، وترجع أهمية هذا المصنف إلى أن المؤلف شاهد مظاهر تلك العلاقات بعينيه، وهو ما يُعطي روايته قيمةً أكثر من غيرها من المصادر الأخرى.
- أكدت الدراسة أن المصادر الصينية اهتمت هي الأخرى بالحديث عن بعض جوانب العلاقات التجارية بين كل من ساحل شرق أفريقية وبلاد الصين في العصر الإسلامي، كما أشارت المصادر الصينية إلى قدوم السفن التجارية الصينية غلى ساحل شرق أفريقية.
- وأشارت الدراسة إلى قِدم وعراقة مظاهر التعاون بين كل من التجار الأفارقة، وتحديدًا من ساحل شرق أفريقية، والتجار الصينيين، وكانت أقدم مظاهر هذه التعاون هي التجارة، وهي العلاقات التي ترجع إلى بواكير القرون الهجرية الأولى.
- أظهرت الدراسة أن العلاقات التجارية بين شرق أفريقية والصين كانت في صورة علاقات مباشرة أي بقدوم السفن الصينية لشرق أفريقية، أو كانت تتم بشكل غير مباشر عن طريق وسطاء تجاريين. وهذه الصورة الأخيرة كانت الغالبة في إطار العلاقات التجارية بين الطرفين.
- أشارت الدراسة إلى أن التجار العُمانيين كانوا أكثر من حمل على عاتقهم مهمة "الوساطة التجارية" بين أسواق شرق أفريقية وبلاد الصين، وهو ما تؤكده رواية المسعودي، وحتى المصادر الصينية ذاتها، وكذلك باقي مصادر العصر الوسيط. كما أكدت الدراسة أن التجار السيرافيين والهنود من جانب آخر لعبوا دورًا لا يمكن إغفاله في الحركة التجارية بين شرق أفريقية والصين، وإن لم يبلغ ذلك الدور في ذات الوقت ما بلغه الدور العماني.
- بينت الدراسة أن "الرياح الموسمية" ساعدت على رواج الحركة التجارية بين الطرفين، ولم تكن تشكل عائقًا أمام سكان شرق أفريقيا والصينيين لاستمرار التجارة عبر المحيط الهندي، ومن المعروف أنه زادت معارف البحارة والتجار العرب بأوقات هبوب هذه الرياح، وأسرارها، وكيف يمكن استغلالها في القيام برحلتين صيفًا وشتاءً بين شرق أفريقية وموانئ الصين.
- وأكدت الدراسة أيضًا أن تنوع السلع والمنتجات بين الطرفين أدى لوجود حاجة ماسة من كل طرف منهما إلى التعاون مع الطرف الآخر، ومن ثم حرص التجار في كل من الصين وشرق أفريقية على إحضار سلع ومنتجات الطرف الآخر بشكل مباشر أو غير مباشر.

دراسات

الهَوامِشُ:

(١) للمزيد عن العلاقات بين العرب والصينيين خلال العصر الوسيط، مجهول: **السلوة في أخبار كلوة**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٥م، ص٢٧-٣٠، سالم بن محمد السيابي: **عمان عبر التاريخ**، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٢م، ١٨٤-١٩٠، قاسم عبده قاسم: **العلاقات الصينية-العربية الباكرة: رؤية صينية ورؤية عربية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، أغسطس ٢٠٠٤م.

(٢) الزهري (أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الزهري): **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ، ص١١.

(٣) يطلق على المحيط الهندي: بحر الهند، و"البحر الأخضر"، والبحر الحبشي في المصادر الوسيطة وللمزيد عن هذا البحر، للمزيد الزهري: **كتاب الجغرافية**، ص١١، وعن (رواية المسعودي)، وأهميتها، انظر: بازل دافيدسون: **أفريقيا القديمة**، ترجمة: نبيل بدر، سلسلة من الشرق والغرب، عدد ٣٩، القاهرة، ص٦٥، جمال زكريا قاسم: **المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا**، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد١٤، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٧٤-١٧٥، المسعودي: اسمه أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، ولد لأسرة من "أصول حجازية" في بغداد نهاية القرن (٣هـ/١٠م)، وكانت وفاته بالفسطاط سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) (وقيل: سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م). ألف العديد من المصنفات ولم يبق منها سوى القليل، لعل أشهرها كتابه الموسوم بـ"مروج الذهب ومعادن الجوهر" والذي يتحدث فيه عن شرق أفريقية وساحل هذه البلاد، وشارك المسعودي في العديد من الرحلات مرافقًا للبحارة العمانيين في المحيط الهندي. كما تحدث المسعودي عن الشعوب الزنجية التي كانت تسكن مناطق ساحل شرق أفريقية في أيامه، كما تحدث عن الصينيين والهنود والعُمانيين ودورهم في حركة التجارة البحرية في المحيط الهندي. وللمزيد عن المسعودي، وروايته عن ساحل شرق أفريقية، والتجارة بين أفريقيا وآسيا في العصور الوسطى، انظر دافيدسون: **أفريقيا القديمة**، ص٦٥، وانظر أيضًا:

Basil Davidson: The African Past Chronicles from Antiquity to Modern Times, Penguin African Library, Penguin Books, London, 1966, P. 114 – 115

(٤) ومن أدق ما قيل عن رواية أبي الحسن المسعودي، وما أورده من معلومات تاريخية وجُغرافية حول شرق أفريقية، وكذلك رحلاته المتعددة التي قام بها خلال القرنين (٣-٤هـ/٩-١٠م) عبر "بحر الهند" (أو البحر الحبشي)، ما يشير إليه المستشرق "بازل دافيدسون" (Basil Davidson) عن رحلات المسعودي عبر "المحيط الهندي"، حيث يقول: "في سنة ٩١٢م أخذ البحارة العُمانيون الذين كانوا يُبحرون في الأمواج العمياء لبحار شرق أفريقية في القرون الوسطى...أخذوا معهم مسافرًا (يَقصُد به: أبا الحسن المسعودي) على قدر كبير من الأهمية كانت رحلاته المُتعددة في هذه المنطقة من البحـار، حيث الخلجان العميقة بين الجبال الشاهقة، رحلات ذات صدى بعيد في هذه الأيام. سافر هذا الرجل مع العمانيين على طول الساحل الشرقي لأفريقيا، وربما سافر على ظهر سفينة من سفن التجار إلى مدغشقر...ثم عاد مرة أخرى إلى عُمان...". ويقول المستشرق (Basil Davidson) بازل دافيدسون أيضًا عن أهمية كتاب (مروج الذهب): "وفي هذا الكتاب (مروج الذهب) يكشف المسعودي تاريخ شرق أفريقية في تفصيلات رائعة متماسكة في السنين نفسها التي بلغت فيها دولة غانة في السودان الغربي أوج عظمتها والتي شهدت كذلك بداية ظهور إمبراطورية مالي ودولة مدينة آيف...في هذه السنين نفسها كان العرب يعرفون سكان ساحل أفريقية الشرقي بأنهم الزنج الذين يعيشون فيما وراء أرض الأحباش، والذين وصفهم المسعودي بأنهم قبائل عدة تضم فيما تضم قبائل من البرابرة..." (انظر، **بازل دافيسون**: أفريقيا القديمة، ص٦٥).

(٥) يقول الجغرافي المغربي أبوعبدالله الزُهري في مصنفه المعروف بـ"كتاب الجغرافية" عن هذه الجزء من المعمورة: "وفي هذا الجزء في البر دون البحر مدائن الصين، وهي متصلة بأرض فارس. وكذلك في هذا الجزء مدائن من مدن الهند ومنه أرض سرنديب وكابل. الصقع الأول: بلاد الصين – جزيرة الواقواق، والصقع الأول بلاد الصين وهي كثيرة..." (وللمزيد عن رواية الزهري، انظر **كتاب الجغرافية**: ص١١، وكذلك العُمري (شهاب الدين ابن فضل الله العُمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، جـ١، اختصار: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٦٧-٦٨).

(٦) الزهري: **كتاب الجغرافية**، ص١١.

(٧) **بلاد التركستان**: (Turkistan) تضم مناطق واسعة من آراضي آسيا الصغرى (Asia Minor)، وتنقسم لقسمين: تركستان الشرقية وتركستان الغربية. أما المنطقة الأولى: فقامت الصين باحتلالها، وصارت تعرف بعد ذلك: "شينجيانج، وهي تعني بالعربية: (المستعمرة الجديدة). أما تركستان الغربية: تضم خمس جمهوريات إسلامية استقلت عن روسيا حديثًا: كازاخستان، وأوزبكستان، وتركمنستان، وطاجيكستان وقيرغيزستان (وللمزيد عن بلاد تركستان، انظر موسوعة ويكيبديا: مادة تركستان).

(٨) الإصطخري (وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي): **مسالك الممالك**، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠١١م، ص٤، انظر أيضًا العُمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٢٣٧.

(٩) ابن بطوطة: **تُحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج٢، تحقيق: محمد السعيد محمد الزيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ جـ٢، ص٥٦٥.

(١٠) المصدر السابق، ص٥٦٥.

(١١) المصدر السابق، ص٥٦٥.

(١٢) للمزيد عن الجزر في بلاد الصين، انظر العُمري: **مسالك الأبصار**، ج١، ص٦٩-٧٠.

(١٣) مروج الذهب: ج١، ص٨٤.

(١٤) يطلق ابن سعيد (وهو أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٥م) على هذا البحر أيضًا في مواضع أخرى اسم "بحر الهند" (وللمزيد، انظر ابن سعيد: **كتاب الجغرافية**، تحقيق: إسماعيل المغربي، سلسلة ذخائر التراث العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٠، ص٨٣، وانظر أيضًا العُمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، جـ١، ص١٠٥).

(١٥) انظر ابن البلخي: **فارس نامة**، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص١٤٩.

(١٦) **بلاد السند**: ويقصد بها الأرض التي تشغلها حاليا آراضي باكستان، وللمزيد انظر: ابن حوقل النصيبي (المتوفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م): **صورة الأرض**، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٩٤).

(١٧) ابن حوقل: المصدر السابق، ص١٤٩.

(١٨) المصدر السابق، ص١٤٩.

(١٩) المسعودي: جـ١، ص٨٤.

(٢٠) بربري: ويقصد بهذه المدينة (بربر) التي تقع على ساحل المحيط في بلاد القرن الأفريقي.

(٢١) المسعودي: مروج الذهب، جـ١، ص٨٤.

(٢٢) المصدر السابق، ص٨٤.

(٢٣) **قبائل الأزد**: وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان، وهم من أعظم الأحياء، وأكثرهم بطونًا. يقسم الأزد الى ثلاثة أقسام: أزد شنوءة وهم بنونصر بن الأزد، وشنوءة لقب لنصر غلب على بنيه. الثاني: أزد السراة، وهو موضع بأطراف اليمن نزلوا به فعرفوا به. أما الثالث: وهم أزد عمان وهي مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فعرفوا بها. ومن بطون الأزد: غسان: وقيل: هم بنوجفنة، والحارث وهو مُحرِق، وثعلبة: وهو العنقاء، وحارثة، ومالك، وكعب، وخارجة (العُمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، ص٢١٩، القلقشندي: **صُبح الأعشى**، جـ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣١٨-٣١٩، وانظر أماني محمد طلعت إبراهيم خلف: **النقوش الكتابية الإسلامية الباقية في الساحل الشرقي الإفريقي حتى القرن السادس الهجري**، جـ١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٩٤).

(٢٤) المسعودي: مروج الذهب، جـ١، ص٨٤.

(٢٥) الزُهري: **كتاب الجغرافية**، ص١٢٢، وللمزيد أيضًا: عن بلاد الزنج، والشعوب التي كان تسكن هذه البلاد، وعاداتهم، وتقاليدهم، انظر ابن بطوطة: **الرحلة**، ص٢٢٩. وحسب بعض المصادر العربية الوسيطة، فإن السود والزنج هم شعوب من نسل حام بن نوح عليه السلام، وهم الذين يُعرفون بـ(Hamitic Peoples) "الشعوب الحامية" (المسعودي: **أخبار الزمان**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٢٤). ويقول العُمري: "وحام وولده القبط والسودان والبربر.." (**مسالك الأبصار**: جـ١، ص١٤٠).

(٢٦) **سوفالة (سوفالا)**: تقع بالقرب من (أرض بيرا) الحالية بموزمبيق، وتعتبر سوفالة أقصى حدود "بلادالزنج"، وصل إليها التجار الآسيويون مثل: العمانيين والسيرافيين، والهنود، وغيرهم (دافيدسون: **أفريقيا القديمة**، ص٦٦). اشتهرت باسم سوفالة الذهب (العمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، ص٦٩).

(٢٧) ابن سعيد: **كتاب الجغرافية**، ص٨٢.

(٢٨) المصدر السابق، ص٨٢.

(٢٩) العُمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، ص٦٩.

(٣٠) يشير علماءُ الأجناس إلى أن الزنوج يسكنون البلاد جنوب "خط البانتو" الذي يبدأ من مصب نهر السنغال لتخوم الحبشة عند خط عرض ١٢ شمال، ثم يسير بمحازاة التخوم الغربية، ثم الجنوبية للحبشة حتى نهر جوبا، ومنه لساحل المحيط الهندي (وعن الشعوب الزنجية، سليجمان: **السلالات البشرية في أفريقية**، ترجمة: يوسف خليل، مراجعة: محمد محمود الصياد، مكتبة العالم العربي، القاهرة، د. ت.، ص٤٧ – ٤٨، ترمنجهام: **الإسلام في شرق أفريقيا**، ترجمة: محمد عاطف النواوي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١١٢).

(٣١) ابن بطوطة: **تُحفة النُظار**، جـ٢، ص٢٣٣.

(32) Basil Davidson: The African Past Chronicles from Antiquity to Modern Times, P. 114 – 115.

(33) Ibid, P. 115

(34) Roland Oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, Penguin African Books, London, 1965, P. 97.

(35) Ibid, P. 97

(36) Ibid, P. 97

(٣٧) **ماليندي**: تقع مدينة ماليندي على ساحل أفريقيا الشرقي، وهي توجد حاليا ضمن حدود كينيا.

(38) Ibid, P. 97

(٣٩) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص٨٨، وللمزيد عن هبوب الرياح الموسمية ودورها في الحركة التجارية بالمحيط الهندي (بحر الهند)، انظر سليمان عبد الغني المالكي: **دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا**، ندوة "**مؤتمر العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر**"، سمنار التاريخ كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م، ص١٢١ – ١٢٥.

(٤٠) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص٨٨، وللمزيد عن الرحلات البحرية والرياح الموسمية، انظر:

www.chinatoday.com.cn

(٤١) المسعودي: جـ١، ص٨٨، وانظر أيضًا عطية القوصي: **تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية**، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص٢٣).

(٤٢) سليمان عبد الغني المالكي: **دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا**، ندوة "**مؤتمر العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر**"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م، ص١٢٣.

(٤٣) المرجع السابق، ص١٢٣.

(٤٤) كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرق أفريقيا وآسيا كما يصورها البلدانيون العرب في الفترة من (٦٥٦-٩٠٤هـ/١٢٥٨-١٤٩٨م)**، ندوة "**مؤتمر التعاون العربي الأفريقي**"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٥.

(٤٥) فوه ين ده: **تاريخ العلاقات الصينية العربية**، ترجمة: تشانج جيا مين، انظر موقع الصين اليوم، وانظر أيضًا:
www.chinatoday.com.cn

(٤٦) سليمان عبد الغني المالكي: المرجع السابق، ص١٢٤.

(٤٧) كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري**، ص٥.

(٤٨) **مروج الذهب**: جـ١، ص٨٥، وانظر عطية القوصي: **تجارة مصر في البحر الأحمر**، ص٢٣، سالم بن محمد السيابي: **عُمان عبر التاريخ**، ص١٧٩.

(٤٩) **مروج الذهب**: جـ١، ص٨٥، وللمزيد عن الدور العماني في تجارة المحيط الهندي بين ساحل شرق أفريقيا والصين، انظر باسيل دافيسون: **أفريقيا القديمة**، ص٦٥ - ٦٦.

(٥٠) النواخذة: مفردها: ناخذة، ويقصد بهم أرباب السفن والمراكب التجارية التي كانت تعبر المحيط الهندي.

(٥١) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص٩١.

(٥٢) سيراف: تقع عند ساحل فارس على الخليج العربي، ويذكر ابن البلخي أن سيراف كانت مدينة كبيرة، وعامرة مليئة بالخيرات، ومرفأ للبوزيات (نوع من القوارب) والسفن (ابن البلخي: **فارس نامة**، ص١٣١).

(٥٣) للمزيد عن دور التجار العُمانيين كوسيط تجاري مع ساحل شرق أفريقيا، انظر: جورج فضلو حوراني: **العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى**، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مراجعة: الدكتور يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ، ص٢٢٨ وما بعدها، وانظر أيضًا: سالم بن محمد السيابي: **عمان عبر التاريخ**، ص١٧٩-١٨٠، إم. الفاسي وإي هربك: **أفريقيا في القرن السابع عشر إلى القرن الحادي عشر**، **تاريخ أفريقيا العام**، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ شمال أفريقيا، منظمة اليونسكو، مجلد (٣)، د.ت، ص٦٤٩-٦٥٠، سليمان عبد الغني المالكي: **دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا**، ندوة مؤتمر "**العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر**"، سمنار التاريخ كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م، ص١٢١ - ١٢٥.

(٥٤) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص٨٤.

(٥٥) سالم بن محمد السيابي: **عمان عبر التاريخ**، ص١٧٩.

(٥٦) للمزيد عن المصادر العربية التي تحدثت عن العلاقات التجارية بين الصين وشرق أفريقيا خلال العصر الوسيط، انظر: جمال زكريا قاسم: **المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا**، ص١٦٩ وما بعدها. وللمزيد عن رأي رولاند وأوليفر وغيره من مستشرقي الغرب، انظر:
Roland Oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, P. 97.

(٥٧) أسرة الجلندي: تذكر المصادر أن هجرات الأمراء من أسرة الجلندي من عمان إلى شرق أفريقية منذ حوالي القرن الأول الهجري بسبب الظروف السياسية التي كان يمر بها مشرق العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

(58) Roland Oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, P. 97.

(٥٩) جمال زكريا قاسم: **المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا**، ص١٧٣.

(٦٠) المرجع السابق، ص١٧٣.

(٦١) **جزيرة قنبلو**: وهي من الجزر التي تقع بالقرب من ساحل شرق أفريقية، وقيل إنها كانت في الغالب هي جزيرة مدغشقر، وقيل أيضًا غير ذلك، وللمزيد انظر:
Davidson: The African Past, P. 115.

(٦٢) مروج الذهب: جـ١، ص٩١.

(٦٣) المصدر السابق، ص٩١.

(٦٤) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٦٥) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص١٠٩، وللمزيد عن التجار السيرافيين، وكذلك دورهم المهم في تجارة المحيط الهندي، انظر ابن البلخي: **فارس نامة**، ص١٣١.

(٦٦) **مروج الذهب**: جـ١، ص٨٥.

(٦٧) **مروج الذهب**: جـ١، ص٨٥

(68) Roland Oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, P. 97.

وللمزيد عن الدور العماني في تجارة بحر الهند، انظر المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص٨٤.

(69) Roland Oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, P. 97.

(٧٠) انظر عرام بن الأصبغ السلمي: مخطوطة كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه (رواية السيرافي)، تحقيق: عبد السلام هارون، تقديم: أ.د حسين نصار، **نوادر المخطوطات**، جـ٢، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١م، ص٤٢٨

(٧١) شوقي عثمان: **تجارة المحيط الهندي، سلسلة عالم المعرفة**، الكويت، ص٢٦٢. وللمزيد، فوه ين ده: **تاريخ العلاقات الصينية العربية**، ترجمة: تشانج جيا مين، www.chinatoday.com.cn

(٧٢) للمزيد، انظر موقع: www.chinatoday.com.cn

(٧٣) كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقيا وآسيا كما يصورها البلدانيون العرب في الفترة (٦٥٦-٩٠٤هـ/١٢٥٨-١٤٩٨م)**، مؤتمر "**التعاون العربي الأفريقي**"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٣٢.

(٧٤) المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٧٥) كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقيا وآسيا**، ص٣٢.

(٧٦) يقال في سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) (كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقيا وآسيا**، ص٣٢).

(٧٧) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص١٠٥.

(٧٨) المصدر السابق، ص١٠٥.

(٧٩) المصدر السابق، ص١٠٥.

(٨٠) كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقيا وآسيا**، ص٣٢.

(٨١) تراتشكوفسكي: **تاريخ الأدب الجغرافي**، جـ١، ص١٤٢.

(٨٢) المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٨٣) كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقيا وآسيا**، ص٣٢.

(٨٤) المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٨٥) المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٨٦) انظر عرام بن الأصبغ السلمي: مخطوطة **(كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه)** (رواية السيرافي)، تحقيق: عبد السلام هارون، تقديم: حسين نصار، **نوادر المخطوطات**، جـ٢، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.: ص٤٢٨.

(٨٧) مخطوطة **(كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها)**: ص٤٢٨-٤٢٩.

(٨٨) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص١٠٩.

(٨٩) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٩٠) العُمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، ص١١٠.

(٩١) المصدر السابق، ص١١٠.

(٩٢) المصدر السابق، ص١١٠.

(93) Roland oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, P. 98.

وللمزيد، كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقيا وآسيا**، ص ٣٢-٣٣.

(٩٤) انظر، كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص٣٣.

(٩٥) كلوة: من جزر شرق أفريقية، قامت بها سلطنة إسلامية

Davidson: African Past, P. 123

(٩٦) كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص٣٣.

(97) Roland oliver & J. D. Fage: A Short History of Africa, P. 97.

(٩٨) العمري: جـ١، ص١٠٩، النانى ولد الحسين: **صحراء الملثمين (دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي خلال العصر الوسيط)**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٩٨، يقول العرب عن الودع: صنف من المحار يشبه الحلزون الكبير إلا أن زخرفه أصلب يستخدم في الطب والعلاج (العمري: جـ١، ص١٠٩).

(٩٩) النانى ولد الحسين: المرجع السابق، ص٢٩٨.

(١٠٠) العمري: مسالك الأبصار، جـ١، ص١٠٥.

(١٠١) فوه ين ده: **تاريخ العلاقات الصينية العربية**، انظر، موقع: www.chinatoday.com.cn

(١٠٢) كولين مكفيدي: **أطلس التاريخ الأفريقي**، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٩١، وانظر كرم الصاوي باز: **التبادل التجاري بين شرقي أفريقية وآسيا**، ص٣٢.

(١٠٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ١، ص١١٠.

(١٠٤) يقول العمري: "وقال: مما حدثني به إسماعيلويه الناخذاه أن ببلاد الزنج معادن ذهب خوارة، وأكثر المعادن خوارة، وأن الرجال يحفرون فيها الذهب، فربما نقبوا على أرض مجوفة مثل أرض النمل، فيخرج عليهم نمل مثل السنانير كثير..." (**مسالك الأبصار**، جـ١، ص١١١-١١٢).

(١٠٥) كولين مكفيدي: المرجع السابق، ص٩١.

(١٠٦) المرجع السابق، ص٩٢، وعن قيام سلطنة كلوة الاسلامية، كرم الصاوي باز: **كلوة مركز الثقافة الاسلامية في شرق أفريقية عهد أسرة المهدلي العربية**، مؤتمر المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور، اتحاد المؤرخين العرب، ٢٠٠١م، ص٤٩٦.

(١٠٧) العمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، ص٦٩. وعن سوفالة يقول القزويني: "آخر مدينة تعرف بأرض الزنج، بها معدن الذهب". (القزويني: **ثار البلاد وآخبار العباد**، ص٤٤).

(١٠٨) انظر النانى ولد الحسين: **صحراء الملثمين**، ص٤٦٠.

(١٠٩) المرجع السابق، ص٤٦٠.

(١١٠) للمزيد عن السلع والنتجات التي كانت تصدر من شرق أفريقية، كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص٣٢

(١١١) كرم الصاول باز: المرجع السابق، ص٣٢.

(١١٢) المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.